خزانة الرمال

محمود سالم

خزانة الرمال

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

خزانة الرمال

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، ونسدور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٨ ٢٦٦٦ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٤.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
البحث عن رجل مجهول!	١١
السهم المسموم ... مرة أخرى!	١٧
السيارة تنفجر عندما تتحرك!	٢٣
«أحمد» يلتقط رسالة غامضة!	٢٩
كارثة وسط المعركة!	٣٥
وأخيرًا ... كانت نهاية الصراع!	٤١

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

البحث عن رجل مجهول!

كان قرص الشمس النحاسي يختفي شيئًا فشيئًا خلف الأفق العربي، ولم يكن هناك صوت، كان هناك نوع من الصمت يغطي كل شيء، في الوقت الذي كان الشياطين يجلسون في الشرفة الزجاجية العريضة في المقر السري، وقد استسلموا تمامًا لهذه اللحظة الرائعة. بعد قليل اختفت الشمس تمامًا، ولم تترك خلفها سوى ذيول متعددة الألوان، بين البرتقالي والأحمر، الذي يتدرج في ألوانه المتعددة، حتى يصل إلى لون شفاف، لا يكاد يظهر، بعدها بقليل كانت هذه الألوان تختفي هي الأخرى، ليحل محلها لون رمادي، يصبغ كل شيء، في الوقت الذي أخذت فيه تفاصيل الأشياء تختفي هي الأخرى، ثم تتحول إلى كتلة رمادية ثم إلى كتلة تميل إلى السواد، حتى أصبحت سوداء. كان الليل يغطي كل شيء الآن، تحت عباءة الصمت الممتد ... قالت «إلهام»: إنها لحظة شاعرية، لو أني أكتب الشعر، لكنت كتبت قصيدة عن الغروب، داخل هذه اللوحة الجميلة.

ابتسمت «زبيدة» وهي تقول: إن «فهد» يكتب الشعر ... ولا أدري، لماذا لا يكتب شعرًا في هذه اللوحة الطبيعية التي تعجز فرشاة أي فنان عن رسمها!

كان «فهد» شاردًا وكأنه يفكر في شيء، إلا أن جرسًا متقطعًا خافتًا انتشل الجميع من لحظتهم الشاعرية ...

فقال «مصباح»: يبدو أن الإجازة قد بدأت.

ابتسم «بو عمير» قائلًا: نعم، لقد تعبنا من طول الانتظار هنا.

وفي هدوء، كانوا يتسللون الواحد بعد الآخر، في طريقهم إلى قاعة الاجتماعات، فقد كان الجرس المتقطع يعني دعوة رقم «صفر» لهم. في دقائق قليلة كانوا جميعا يجلسون في القاعة الكبرى في انتظار تعليمات رقم «صفر». مرت دقائق دون أن يبدو أن شيئًا سوف يحدث سريعًا ...

غير أن صوت رقم «صفر» جاءهم يقول: لا بأس من الانتظار قليلًا ... إنني في الطريق إليكم!

ومع نهاية كلماته كانت الخريطة الإلكترونية تظهر. التقت أعينهم جميعًا فوقها. لم تكن أي تفاصيل قد ظهرت، لكنهم ظلوا معلقين أنظارهم نحوها، فهم يعرفون أن الخريطة هي دائمًا بداية كل مغامرة.

بعد لحظات ظهرت خريطة كاملة لآسيا. أكبر قارة بين قارات الدنيا الخمس. بعد ثوانٍ، أخذت أطراف الخريطة تختفي شيئًا فشيئًا، في نفس الوقت الذي كانت تتأكد فيه مساحة معينة عرفوا أنها «الهند»، فهي تتميز بهذا الشكل المثلث. بعد قليل، بدأت التفاصيل تظهر فوق خريطة «الهند»، الغارقة في مياه المحيط الهندي ... لحظة أخرى، ثم خرج سهم أحمر، دار دورة كاملة فوق مساحة محددة فوق الخريطة. كانت المساحة يغطيها اللون الأخضر، فعرف الشياطين أن هذه هي صحراء «ثار»، وعلى حدودها لمعت دائرة تشير إلى «دلهي» عاصمة «الهند». وفي الطريق الغربي ظهرت دائرة أخرى أصغر، هي مدينة «جوبور». غير أن التفاصيل على الخريطة كانت غامضة، فهي لم تكن تعني أي شيء الآن، فقد تكون المغامرة في «دلهي» أو «جوبور» أو مياه المحيط، كما أنها يمكن أن تكون في الصحراء. هناك احتمال أيضًا، أن تكون هذه الأماكن كلها هي أرض المغامرة، وإن كان الشياطين قد استبعدوا ذلك.

مرة أخرى جاء صوت رقم «صفر» يقول: أعرف أنكم تريدون تحديد المكان. سكت لحظة، بينما كان صوت أقدامه يقترب منهم أكثر فأكثر، حتى توقف أمامهم تمامًا، رحَّب بهم ثم قال: إن مكان المغامرة هو صحراء «ثار»، وإن كانت هناك غرف عمليات للعصابة موجودة في «جوبور». لقد قصدت أن تكون الخريطة كاملة، حتى تعرفون حركتكم جيدًا. وحتى يكون لديكم فرصة التفكير ...

سكت مرة أخرى، ثم قال: إن مغامرتكم الجديدة، لها خطوتان. خطوة أولى تحتاج فقط إلى واحد منكم، فإذا نجح تكون المغامرة قد بدأت، وساعتها نبدأ الخطوة الثانية وفيها تنضم مجموعة منكم إليه.

كان الشياطين يستمعون إليه بتركيز شديد، وعندما قال إن الخطوة الأولى تحتاج إلى فرد واحد، تمنَّى كل واحد منهم أن يكون هو صاحب الخطوة الأولى.

جاء صوت رقم «صفر» يقطع تفكيرهم: إن المغامرة غامضة تمامًا، فالعملاء لم يستطيعوا حتى الآن الوصول إلى تفاصيل كثيرة، إن ما لدينا من معلومات تقول: إن هناك

خزانة مدفونة في صحراء «ثار». وهذه الخزانة بها خرائط سرية تحمل خطة الدفاع عن منطقة الشرق الأوسط.

سكت رقم «صفر»، في الوقت الذي بدأ فيه الشياطين يفكرون بسرعة؛ إن صحراء «ثار» تمتد إلى مسافات شاسعة، وما دامت المعلومات غير متوفرة، فإن الوصول إليها يكون صعبًا للغاية ... إن لم يكن مستحيلًا ... وهذه الخرائط السرية شديدة الأهمية ما دامت تحمل خططًا للدفاع عن الشرق الأوسط، وهذا يعني أن الحصول عليها شديد الأهمية.

مرة أخرى، تحدث رقم «صفر»: هذه الخرائط كانت معدة منذ الحرب العالمية الثانية، وعندما قامت الحرب، واشتعل العالم كله، اختفت الخرائط، غير أن أجهزتنا بالبحث عرفت أنها وُضِعت في خزانة، وهذه الخزانة مدفونة في رمال صحراء «ثار». لقد أخفتها جهة ما هناك، حتى تعود إليها بعد نهاية الحرب. لقد انتهى القائد العسكري الذي قام بإخفائها خلال الحرب، فظل مكانها مجهولًا؛ إلا أن عصابة «سادة العالم» عثرت على مفكرة القائد العسكري، الذي كان قد كتب فيها بعض الملاحظات عن الخزانة، واستطاعت أن تحدد مكانها.

سكت الزعيم، في الوقت الذي كان الشياطين قد أعملوا فكرهم مع كلماته، إلا أنه قطع عليهم التفكير عندما واصل كلامه، قائلًا: إن هناك من سيقوم الليلة من «باريس» في طريقه إلى مدينة «جوبور»، حيث توجد غرفة عمليات العصابة: إننا لا نعرف عن هذا الرجل شيئًا سوى موعد الطائرة، ورقم الرحلة، وهذا الرجل هو وحده الذي يعرف المكان المحدد للخزانة، وسوف يصل إلى «جوبور» حيث تبدأ عملية البحث في الصحراء. سكت قليلًا، ثم أضاف: إن الخطوة الأولى في المغامرة هي معرفة هذا الرجل، الذي لا نعرف عنه شيئًا، لا اسمه، ولا شكله، فإذا عرفناه، تبدأ الخطوة الثانية في المغامرة، فالمؤكد أنه لن يكون وحده في الصحراء ...

مرت لحظات صمت كان الشياطين خلالها ينتظرون تحديد من يبدأ الخطوة الأولى، قال رقم «صفر»: سوف يقوم «أحمد» بمهمة الخطوة الأولى.

عندما سكت رقم «صفر» استقرت العيون كلها على «أحمد»، الذي ابتسم ابتسامة صغيرة.

قال رقم «صفر»: إن الطائرة أقلعت من «باريس» فعلًا ومنذ عشر دقائق، ورقم الرحلة هو٦٤٢. إن الوقت لا يزال أمام «أحمد» ليبدأ خطوته. وسوف نكون في انتظار أن يرسل إلينا لتبدأ الخطوة الثانية، فهو وحده الذي سيعرف، ماذا تحتاج المغامرة. سكت

قليلًا، ثم أضاف: ليس عندي ما سأقوله، إلا أنني أتمنى لـ «أحمد» التوفيق في مهمته الصعبة، فهو سوف يتجه إلى المجهول، الذي لا يعرف عنه شيئًا وعليه أن يكتشفه.

وعندما سكت هذه المرة، كانت خطواته تبتعد حتى اختفت.

تحرك الشياطين حول «أحمد» الذي وقف، يقول: سوف يكون استدعاؤكم أسرع مما تتصورون!

وفي دقائق، كانوا جميعًا قد غادروا القاعة في طريقهم إلى حجراتهم، وكان أول من خرج هو «أحمد» الذي اتجه إلى حجرته ليعد حقيبته السحرية، وليسرع مغادرًا المقر السري، حتى يكون في انتظار ذلك المجهول الذي سوف يبحث عنه ... في الحجرة فكر «أحمد» قليلًا قبل أن يخطو خطوته الأخيرة للخروج. كان يفكر في هذه المغامرة المثيرة، فهذه أول مرة تبدأ عملية بحث بلا معلومات.

عندما فتح باب الحجرة توقف وابتسم. لقد كانت هناك رسالة على شاشة التليفزيون، بإمضاء الشياطين، تقول: نتمنى لك التوفيق في المهمة التي نعرف أنها ليست صعبة عليك.

عاد مرة أخرى، وأرسل إليهم رسالة تقول: أشكر لكم ثقتكم. أتمنى أن أكون عند حسن ظنكم. إلى اللقاء قريبًا. توقيع «أحمد».

بعد دقائق كانت البوابة الصخرية للمقر السري قد فتحت، في نفس اللحظة التي انطلقت فيها السيارة تضم لأول مرة «أحمد» وحده. وعندما أُغلقت البوابات بصوتها المكتوم كان الليل يحتضن السيارة التي كانت منطلقة كالصاروخ.

وعندما وصل «أحمد» إلى المطار كانت نصف ساعة ما زالت باقية حتى تصل الطائرة القادمة من «باريس». غادر السيارة إلى حيث بائع الجرائد، فاشترى بعض الجرائد، ثم جلس على أحد الكراسي، في انتظار الطائرة، استغرق في القراءة، بعد أن شمل الصالة الواسعة بنظرة سريعة، فهو لم يكن يريد منها شيئًا. إن مهمته محددة في الطائرة، حيث ذلك المسافر المجهول.

في إحدى الجرائد استوقفه مقال عن الحرب العالمية الثالثة. ابتسم وهو يقول لنفسه: إنها حرب أخيرة، فليست بعدها حرب رابعة؛ لأنها حرب الدمار الكامل للعالم كله!

كان المقال يتناول تسليح القوتين الأعظم، وما تملكه كل منهما من صواريخ عابرة للقارات، ورءوس نووية، وأجهزة إنذار مبكر، وأجهزة تجسس، والقوة التدميرية في كل سلاح، والوقت الذي تستغرقه الحرب، وآثارها.

فجأة، تردد في صالة المطار صوت مذيعته الداخلية تعلن أن الطائرة القادمة من باريس في الرحلة ٦٤٢ قد وصلت الآن، وأن على المسافرين إلى «دلهي» أن يتوجهوا إليها.

أخذ جرائده، واتجه في هدوء إلى بوابة الدخول إلى أرض المطار. وفوق البوابة، وقعت عيناه على ساعة رقمية، وكانت تشير إلى الحادية عشرة مساءً.

اتجه إلى الطائرة، التي كانت تقف، وقد أضاءتها لمبات متناثرة فوق جسمها الضخم. لم يكن وحده المتجه إليها. كان هناك أيضًا بعض الركاب، وعندما استقر على مقعده نظر بجواره، ولم يكن أحد على المقعد. قال في نفسه: إن رفيقًا في السفر يمكن أن يسلي الطريق.

انتظر لحظات أخرى لعل أحدًا يصل إلى الكرسي الخالي إلا أن أحدًا لم يصل. بعد قليل قالت مذيعة الطائرة: إننا سوف نطير بعد ثلاث دقائق. نرجو من السادة الركاب أن يربطوا الأحزمة. وعندما انتهت الدقائق الثلاثة كانت الطائرة قد تحركت فعلًا، وما هي إلا دقائق حتى كانت ترتفع لتأخذ مسارها، وعندما استقرت قالت المذيعة: يمكنكم الآن فك الأحزمة.

كان «أحمد» ما يزال جالسًا وحده، ألقى نظرة سريعة على الركاب حوله، كانوا جميعًا قد استغرقوا في النوم، في الوقت الذي كانت فيه الطائرة قد خفضت الإضاءة وتركت كل راكب يضيء المصباح القريب منه، إن كان يريد ذلك. مضت نصف ساعة، وبدأ «أحمد» يشعر بالرغبة في النوم، إلا أنه كان يعرف أن مهمته يجب أن تبدأ الآن. قام من مكانه، متجهًا إلى دورة المياه في نهاية الطائرة.

كان يريد أن يعطي نفسه فرصة، أن يرى الركاب جميعًا، فقد كان مقعده في مقدمة الطائرة، كان يمشي ببطء، في نفس الوقت الذي كانت عيناه تمر بسرعة على وجوه الركاب الذين كانوا جميعًا يغطون في النوم.

عاد مرة أخرى إلى مكانه، ثم جلس. أسند رأسه على مسند المقعد، لكنه فجأة، رفع رأسه إلى اليمين، فقد كان هناك سهم يأخذ طريقه إليه.

السهم المسموم ... مرة أخرى!

أصاب السهم مسند المقعد، في نفس المكان، الذي يسند رأسه إليه. وقف بسرعة حتى يستطيع أن يرى من الذي أطلق السهم، لكنه لم يرَ أحدًا ... قام من مكانه، ومشى بسرعة بين مقاعد الطائرة، إلا أن الركاب كانوا جميعًا غارقين في النوم. كانت هناك سيدة تجلس بمفردها وبجوارها فوق المقعد الخالي، كتاب مغلق.

فكر لحظة: هل يغير مكانه، أم يعود مرة أخرى إلى مكانه السابق؟ في النهاية قرَّر أن يجلس بجوار السيدة. رفع الكتاب ثم جلس.

فكر مرة أخرى: هل يمكن أن يتكرر ما حدث؟ وماذا يريد صاحب السهم؟ وهل يعرف أحد أنه خرج في مهمة لاكتشاف هذا الرجل المجهول؟ وهل الرجل المجهول هو نفسه الذي أطلق السهم؟ كانت أسئلة كثيرة تزدحم في رأسه.

في النهاية رسم خطة، أن يغمض عينيه نصف إغماضة حتى يرى الفاعل جيدًا، لو تكررت محاولة القضاء عليه. ثم تظاهر بالنوم، لكنه في نفس الوقت كان قد رتب كل شيء، مرت دقائق لم يكن هناك أي صوت. فجأة، سمع صوتًا، ركَّز انتباهه في اتجاه مصدر الصوت.

كان صوت أقدام، لكنه كان ضعيفًا جدًّا. أخذ الصوت يقترب. تحفز في انتظار ما سوف يحدث. مرت الأقدام بجواره. فتح عينيه قليلًا، وارتسمت الدهشة على وجهه، كانت مضيفة الطائرة تمر على الركاب.

تزاحمت الأسئلة في رأسه، هل يمكن أن تكون المضيفة هي التي فعلت ذلك؟ وهل يمكن أن تكون عضوًا في عصابة «سادة العالم»؟ هل يشتبك معها؟ أو قد تكون هذه عملية عادية، وهي تمر على الركاب ...

ظلت المضيفة في طريقها حتى اختفت عند كابينة القيادة. لم يتحرك «أحمد» من مكانه، لكن نظره ظل معلقًا على كابينة القيادة، فقد تعود المضيفة مرة أخرى. فجأة، كان سهم يصيب بطنه بالضبط، قفز من مكانه، فرأى أحد الرجال يجلس في مقعده بسرعة، نزع السهم الذي لم يصبه بأذًى، فقد توقع ذلك من البداية. وكان قد وضع الكتاب الذي تركته السيدة تحت ثيابه، فجاء السهم فيه.

قام في هدوء، واتجه إلى الرجل الذي تظاهر بالنوم. كان الرجل في حدود الأربعين، متوسط الطول، رشيق القوام، تبدو على وجهه الشراسة، تميزه نظارة طبية بيضاء تركها فوق عينيه. شعره يميل إلى اللون البني، قمحي اللون، لم يتجاوزه «أحمد» الذي كان يتحرك بخفة حتى لا يوقظ أحدًا. فكر بسرعة في ألا يشتبك مع الرجل، فما دام قد اكتشفه فإن المغامرة تكون قد بدأت الآن.

إنه السبيل الوحيد للوصول إلى «خزانة الرمال»، أو الخزانة المختفية في رمال صحراء «ثار». ولو أنه قضى على الرجل، فإن كل شيء يكون قد انتهى، ويكون الشياطين قد فقدوا أثر الخزانة.

عاد في هدوء إلى مكانه بجوار السيدة، التي كانت ما تزال مستغرقة في النوم. فكر بسرعة: إن الرجل يعرفه، ويعرف أنه لم يمت. في نفس الوقت هو يعرف الرجل. لقد أصبح الصراع مكشوفًا، فهل يلجأ الرجل إلى عملية أخرى؟

ظل في مكانه يفكر …

لقد اختار الرجل السهم؛ لأنه بلا صوت. فلو كان قد استخدم مسدسًا، فإن ذلك سوف يثير ركاب الطائرة، ويكشف الرجل. لكن هل هو سهم عادي؟ أو أنه سهم مسمم؟

أسرع إلى حقيبته السحرية فأخرج منها سائلًا وضعه على طرف السهم، فتغير لون السائل. تأكد أنه سهم مسموم. قال في نفسه: ما الذي يمكن أن أفعله الآن؟

في النهاية قرَّر أن يبقى مكانه، وأن يكون على حذر. في نفس الوقت رسم لنفسه خطة جديدة، حتى يفلت من مراقبة الرجل له. إنه يعرف أن الطائرة سوف تقف في مطار «بيروت»، لتتزود بالوقود. وفي هذه الحالة يمكن أن ينفذ خطته …

فجأة، ظهرت المضيفة مرة أخرى، فطلب منها شايًا وأسبرين؛ لأنه يشعر بالصداع، كان يريد أن يكسب وقتًا، حتى تصل الطائرة إلى مطار «بيروت». غابت المضيفة ربع ساعة ثم عادت بالشاي …

وسألها: هل ما يزال هناك وقت طويل حتى نصل إلى «بيروت»؟

قالت المضيفة: أمامنا نصف ساعة.

«أحمد»: كم من الوقت سوف نظل في المطار؟

المضيفة: نصف ساعة.

كان يريد أن يكسب وقتًا أطول، فأخذ يسألها عن طول الرحلة إلى «دلهي»، وعدد الرحلات التي قامت بها، وطبيعة عمل المضيفة. ظل يسألها أسئلة متناثرة، وكأنه يحتاج إلى هذه المعلومات.

قالت المضيفة مبتسمة: هل تسمح لي بالانصراف؟ إننا على وشك الوصول إلى «بيروت»!

شكرها، فانصرفت. كان الليل يقطع طريقه في اتجاه الفجر. فكر «أحمد»: من الضروري أن أستغل فترة الظلام في تنفيذ خطتي الجديدة!

فجأة، شق صوت المذيعة صمت الطائرة: على السادة الركاب ربط الأحزمة، فنحن نقترب من مطار «بيروت»، وسوف نهبط لنصف ساعة.

استيقظ الركاب، وبدأ صوت ربط الأحزمة يتردد، ثم أخذت الطائرة طريقها إلى النزول.

وعندما توقفت فوق أرض المطار، بدأت الحركة داخل الطائرة، ووسط هذه الحركة، اختفى «أحمد» داخل دورة المياه، وعندما خرج منها، كان قد أصبح شخصًا آخر. لقد استخدم الماكياج الذي يجيده ببراعة، فأصبح من الصعب أن يكتشفه أي إنسان.

انقضت النصف ساعة بسرعة، وبدأ صوت مذيعة الطائرة يطلب عودة الركاب إلى مقاعدهم، وربط الأحزمة؛ لأن الطائرة سوف تستعد لمواصلة الرحلة. ولم تمضِ دقائق، حتى كانت الطائرة تغادر مطار «بيروت» في طريقها إلى «دلهي».

كانت الرحلة أكثر أمانًا الآن، فقد غيَّر «أحمد» مكانه، وانتقل إلى مقعد آخر، لكن عينه ظلت على رجل العصابة، الذي كان يتحرك كل فترة وأخرى وكأنه يبحث عن «أحمد». وعندما عاد إلى مقعده آخر مرة، كانت تبدو علامات الرضا واضحة على وجهه ... ففهم «أحمد» أنه تصوَّر أنه نزل في مطار «بيروت»، وأنه تخلص منه إلى الأبد.

وعندما كانت الطائرة تنزل في نهاية رحلتها في مطار «دلهي»، كان الليل يغطي كل شيء مرة أخرى.

وكان مطار «دلهي» مزدحمًا بالمسافرين، لكن ذلك لم يمنع «أحمد» من مراقبة رجل العصابة. كان الرجل يمشي في المقدمة، وخلفه مباشرة كان يمشي «أحمد»، اتجه الرجل إلى مكتب الطيران الداخلي، وسأل عن الطائرة المتجهة إلى مدينة «جوبور». وسمع «أحمد» موظف المطار يقول: في الثامنة صباحًا.

وعندما كان الرجل يأخذ طريقه إلى خارج المطار، كان «أحمد» يتبعه عن بُعد. لقد فهم أن الرجل سوف ينزل في فندق المطار، الذي لا يبعد كثيرًا؛ ولذلك فعندما استقل الرجل تاكسيًا، كان «أحمد» قد استقل سيارة الشياطين، التي كانت في انتظاره ... وعندما توقف التاكسي أمام فندق المطار، كان «أحمد» قد وصل هو الآخر. وفي الغرفة المجاورة كان «أحمد» ينزل ... وفي دقائق كان قد أخرج جهاز التنصت، وألصقه بجدار الغرفة. فقد كان يتوقع اتصالًا بين رجل العصابة، وغرفة العمليات في «جوبور». وكان جهاز التنصت ينقل له كل ما يقال.

قال الرجل الذي عرف من خلال الحديث أن اسمه «ديجال»: لقد وصلت توًّا، وأنزل في فندق المطار. سوف أستقل الطائرة غدًا صباحًا إليكم.

صمت «ديجال» عدة دقائق، فعرف «أحمد» أنه يستمع إلى حديث في الطرف الآخر. أخيرًا قال: إذن، سوف أنتظر. نعم. سوف أتحرك صباحًا إلى ميدان «نهرو». تمامًا. نعم. نعم. سوف أقف عند التمثال تمامًا. ثم انتهت المكالمة.

فكَّر «أحمد» قليلًا، وقال في نفسه: إذن، قد تغيَّر خط سير «ديجال»، فبدلًا من الذهاب إلى «جوبور» سوف يبدأ تحركه إلى الصحراء من دلهي نفسها.

استلقى على السرير، واستغرق في التفكير: إن المغامرة قد حققت خطوتها الأولى. الآن يجب أن ينضم الشياطين لتكملة المغامرة. قفز بسرعة من السرير، بعد أن قرَّر إرسال رسالة عاجلة إلى المقر السري، أخرج جهاز الإرسال وجلس يرسل الرسالة الشفرية. كانت الرسالة: «٢٤ – ٢٥» وقفة «١٣» وقفة «١ – ٢٣ – ٢٩» وقفة «١٤ – ٢٠ – ١٠» وقفة «٣ – ١٩ – ٢٩ – ١٠» وقفة «٧ – ١٦» وقفة «١ – ٢٣ – ١٢ – ٢٩ – ١٠» وقفة «١ – ٢٣ – ٢١ – ١» وقفة «٢٤ – ١٨» وقفة «١ – ٢٣ – ١٣ – ٢٩ – ١ – ١٦ – ٢٩ – ٢٥» وقفة «٢٠ – ٢٩» وقفة «١ – ٢٣ – ٢٥ – ٢١ – ١٠ – ٢٧» وقفة «١ – ٢٣ – ١٢ – ١ – ١٨ – ٢٧» وقفة «١ – ٢٣ – ١٤ – ١ – ٢٤ – ٢٥ – ٢٧» وقفة «١٤ – ٢ – ١ – ٦ – ١» «انتهى».

وكانت ترجمة الرسالة: من «ش» إلى «صفر»، تغير خط السير. اللقاء مع الشياطين في النقطة «ن» الساعة الثامنة صباحًا.

انتظر الرد، فرغم أنه كان في حاجة إلى النوم، إلا أنه لم ينم حتى يأتيه الرد. مرت ربع ساعة، ثم سجل جهاز الاستقبال رسالة شفرية.

كانت الرسالة: «١ – ٢٧ – ٢٥ – ٢٩ – ٢٢» وقفة «١٨ – ٢٣ – ٢٩» وقفة «٢٥ – ٥ – ١ – ٦» وقفة «١ – ٢٣ – ٧ – ١٦ – ٢٦ – ٢٧» وقفة «١ – ٢٣ – ١ – ٢٦ – ٢٣ – ٢٩»

وقفة «١ – ٢٣ – ١٣ – ٢٩ – ١ – ١٦ – ٢٩ – ٢٥» وقفة «٢٠ – ٢٩» وقفة «١ – ٢٣ – ١٦ – ١٠ – ٢٩ – ٢١» «انتهى».

وكانت ترجمة الرسالة: «أُهنئك على نجاح الخطوة الأولى. الشياطين في الطريق.»

عندما قرأ الرسالة، ضبط مؤشر جهاز الإرسال على الساعة السادسة، ثم قفز إلى السرير، وفي دقائق كان قد استغرق في النوم. في السادسة تمامًا كان مؤشر جهاز الإرسال يصدر صوتًا خافتًا، جعل «أحمد» يقفز سريعًا من السرير، وضع سماعات جهاز التنصت على أذنَيه. لم تكن هناك أي حركة صادرة من الغرفة المجاورة، حيث يرقد «ديجال».

في دقائق كان قد اغتسل، ثم أدى تدريبات الصباح، فشعر بالنشاط. جذب الستائر التي تغطي الواجهة الزجاجية، فظهر ضوء النهار. كانت الشمس تلمع بشكل واضح بينما كانت الأجواء الشرقية تبدو شيئًا بديعًا؛ المباني الهندية المميزة، وحركة الشارع المزدحم.

توقف يرقب حركة الشارع، بينما كانت الأبقار تقطع الطريق في هدوء. فتتوقف حركة السيارات حتى تمر. ففي «الهند» يعتبرون البقرة حيوانًا مقدَّسًا؛ ولذلك لا يزعجها إنسان، وهي تمشي في الشارع أكثر اطمئنانًا من الإنسان نفسه.

فجأة، تناهى إلى سمعه صوت حركة في غرفة «ديجال». أخذ يستمع في تركيز شديد. نظر في ساعة يده، وكانت تشير إلى السابعة صباحًا ...

مرت دقائق، ثم سمع صوت باب الغرفة يفتح ثم يغلق، أسرع هو الآخر يغادر الغرفة. وكان قد وضع ماكياجًا مختلفًا حتى لا يلفت نظر «ديجال»، وأمام المصعد التقى الاثنان «أحمد» و«ديجال» ...

بدأه «أحمد» بتحية الصباح، فرد «ديجال» بسرعة.

قال «أحمد» مبتسمًا: يبدو أن الجو حار اليوم!

قال «ديجال»: إن الجو هنا متقلب، فقد تمطر السماء بعد قليل.

مرت لحظة صمت، ثم قال «ديجال»: يبدو أنك لم تزرْ «دلهي» من قبل ...

قال «أحمد» مبتسمًا: نعم، هذه أول مرة، فأنا أعمل في التجارة، وهذه أول مرة أنزل فيها «الهند»!

كان المصعد قد وصل فركب الاثنان.

وعندما توقف في الطابق الأرضي، غادره الاثنان وافترقا بسرعة.

تأخر «أحمد» بعض الوقت، حتى غادر «ديجال» الفندق، ثم تحرك خارجًا.

وعندما تجاوز الباب وقف في دهشة، فقد اختفى «ديجال» وكأن الأرض قد ابتلعته.

السيارة تنفجر عندما تتحرك!

وقف «أحمد» قليلًا يفكر؛ أين يمكن أن يكون قد ذهب «ديجال»؟ هل ابتلعته الأرض؟ وهل يشك في أن «أحمد» لا يزال يطارده؟ ولماذا اختفى بهذه السرعة؟

كانت عيناه تدوران في كل اتجاه، نظر في ساعة يده ثم ابتسم، إن هناك وقتًا حتى يصل إلى النقطة «ن»، حيث اللقاء مع الشياطين …

أسرع إلى السيارة فركبها، ثم انطلق. قال في نفسه: إلى أين يمكن أن يذهب «ديجال»؟

قطع الطريق من المطار إلى قلب المدينة. فجأة، أصابه ما يشبه الذهول. إن الشوارع مزدحمة تمامًا، آلاف السيارات التي تسير بمعدل بطيء؛ فالبقر في الشوارع يجعل حركتها بطيئة أيضًا، هل يمكن أن يتأخر عن موعد الشياطين؟ وهل يمكن أن يصل «ديجال» قبله إلى ميدان «نهرو»؟ نظر في ساعة يده، كان الوقت لا يزال في صالحه، خصوصًا وأن الميدان ليس بعيدًا.

مرت عشر دقائق، ثم ظهر الميدان في نهاية الشارع؛ فجأة ظهر عدد من الموتوسيكلات، ليقطع الطريق …

قال في نفسه: لا بد أنه موكب رسمي. هذه فرصة!

انتظر قليلًا، توالت الموتوسيكلات، ثم ظهرت سيارة سوداء تحمل علمًا رسميًّا، فعرف أن بداخل السيارة شخصية هامة. كان الشارع خاليًا الآن لمرور السيارة الرسمية، وعندما انتهى الموكب انتظم خلفه مباشرة فقطع الطريق بسرعة، وقبل أن تدق الساعة الثامنة بخمس دقائق، كان قد أوقف السيارة في أحد أماكن الانتظار القريبة، ثم غادرها إلى حيث النقطة «ن»، القريبة من نقطة لقاء رجال العصابة مع «ديجال».

ومن بعيد، لمح «مصباح»، و«بو عمير» و«رشيد»، فملأت وجهه ابتسامة ارتياح. كانوا يقفون وأعينهم تمسح الميدان بحثًا عن «أحمد». لكن، من منهم يستطيع التعرف على «أحمد» الآن وقد اختفى خلف طبقة الماكياج؟!

اقترب منهم في هدوء، ثم غيَّر صوته وهو يسأل: هل أستطيع أن أعرف أين ميدان «نهرو»؟

قال له «مصباح»: أنت الآن تقف في الميدان يا سيدي!

ابتسم «أحمد» قائلًا: شكرًا. وما كاد ينطق بكلمة الشكر حتى لمح «ديجال»، وهو ينزل من أحد التاكسيات ثم يتجه مباشرة إلى سيارة صفراء، تقف قريبًا منه. أسرع بإخراج فراشة إلكترونية، ثم وجَّهها إلى السيارة وأطلقها. اتجهت الفراشة إلى السيارة حتى التصقت بها.

كان يقف وظهره إلى الشياطين.

فلم يروا ماذا فعل. في نفس اللحظة، كان «ديجال» قد ركب السيارة الصفراء، التي انطلقت مباشرة.

سمع «رشيد» يتحدث بلغة الشياطين إلى «مصباح» و«بو عمير».

كان يقول: لقد تأخر «أحمد»، فقد مضت خمس دقائق!

التفت إليهم، وهو يتحدث بلغة الشياطين أيضًا قائلًا: إنني لم أتأخر أيها الأصدقاء!

نظر له الشياطين في دهشة، فقال بسرعة: لا تضيِّعوا وقتًا، فقد انطلق «ديجال» منذ خمس دقائق!

أسرع في مشيته في اتجاه السيارة، فتبعه الشياطين الذين لم يفهموا شيئًا مما قال، وعندما استقروا داخل السيارة، ضغط «أحمد» جهازًا فيها، فلمعت نقطة مضيئة على شاشة الجهاز، وحددت اتجاه سيارة العصابة.

سأل «مصباح»: من هو «ديجال»؟

بينما كان «رشيد» يقود السيارة تبعًا للاتجاه الذي حدده «أحمد»، أخذ يحكي لهم ما حدث منذ ركب الطائرة ومحاولة «ديجال» التخلص منه.

قال في النهاية: يبدو أن عصابة «سادة العالم» تعرف أننا في انتظارها كالعادة ... لكنه أضاف بعد لحظة: غير أن «ديجال» تصوَّر أنني فقدت أثره، أو أنني انسحبت من مطاردته!

كانت السيارة تقطع الشوارع خارجة من مدينة «دلهي» إلى مشارف الصحراء، لقد استغرق ذلك وقتًا، فالمدينة كبيرة بجوار أن حركة الشوارع بطيئة ... ولكن ذلك لم يكن يصيب الشياطين بالقلق؛ لأن السيارة مرصودة بالفراشة الإلكترونية.

عندما خرجت سيارة الشياطين خارج المدينة ... قال «أحمد»: يجب رفع معدل السرعة.

ضغط «رشيد» قدم البنزين، فانطلقت السيارة كالصاروخ، كان «رشيد» قد ثبت اتجاه السيارة في نفس اتجاه النقطة المضيئة على شاشة الجهاز. ها هي صحراء «ثار» أمامهم، ممتدة إلى ما لا نهاية ... الجبال العالية والمدقات الرملية والسهول الصفراء ...

قال «بو عمير»: هنا، يظهر كل شيء ... فلا أحد يستطيع الاختفاء!

ظلت السيارة في تقدمها، في حين كانت النقطة المضيئة ما تزال ثابتة على شاشة الجهاز.

فجأة، أوقف «رشيد» السيارة، حتى إن الشياطين اهتزوا بعنف، فسأل «أحمد»: ماذا هناك؟

أشار «رشيد» بيده إلى اتجاه. كانت السيارة الصفراء تقف جانب الطريق.

قال «أحمد»: فلنقترب في بطء ...

تحرك «رشيد» بالسيارة، كما أشار «أحمد»، ثم ظلوا يقتربون إلا أن السيارة الأخرى لم تتحرك، حتى أصبحت قريبة تمامًا.

فهمس «مصباح»: أخشى أن يكونوا قد غادروها، واستقلوا سيارة أخرى!

أضاف «بو عمير»: أو تكون منطقة البحث قريبة من هنا!

أوقف «رشيد» السيارة، فقال «أحمد»: سوف أتقدم أنا و«مصباح» لنرى ماذا هناك؟

قفز الاثنان بسرعة، متجهين إلى سيارة العصابة. كانا يحتميان في ظلال الجبل المرتفع، الذي يقوم على جانب الطريق، ظلا يتقدمان، حتى أصبحا على بعد أمتار من السيارة.

قال «مصباح»: يبدو أن لا أحد هناك!

اقتربا في حذر أكثر، ثم كانت المفاجأة، لم يكن أحد في السيارة. وقف «أحمد» ينظر حوله، ثم تقدم قليلًا ونظر إلى الأرض. لم تكن هناك أي علامة على الأرض تدل على وجود سيارة أخرى.

فكر «أحمد» قليلًا ثم قال: هناك احتمالان، إما أن يكون هناك طريق آخر سلكته العصابة بسيارة أخرى، وإما أن يكون «ديجال» ومن معه قد غادروها سيرًا على الأقدام، وهذا يعني أن مكان الخزانة قريب!

صمت قليلًا ثم أضاف: سوف أصعد الجبل لأبحث عن مكانٍ مرتفعٍ، يمكن أن يكشف أي تحرك!

وفي لمح البصر، كان يقفز في رشاقة، متسلقًا الجبل الرملي، كانت الرمال الناعمة تعوق حركته، لكن الشياطين مدربون على مثل هذه الأماكن، وفي ربع ساعة كان يقف على قمة الجبل. ألقى نظرة سريعة على كل الاتجاهات لكن عينيه لم تريا شيئًا. أخرج نظارة مكبرة، ثم بدأ يمسح الأفق. ومن بعيد رأى غبارًا كثيفًا …

قال في نفسه: إذن، لقد سلكوا طريقًا آخر، بسيارة أخرى، فهذا الغبار لا تثيره أقدام!

أخرج جهازًا دقيقًا، ثم ضغط على زر فيه، وهو يوجهه ناحية الغبار، بعد قليل سجل الجهاز رقمًا، فقال «أحمد» في نفسه: إنهم لا يبعدون كثيرًا، ويمكن اللحاق بهم. إن اتجاههم معروف، فهم لا يستطيعون أن يتقدموا إلا تبعًا للطريق الموجود.

وفي سرعة كان ينزل من قمة الجبل؛ ولأن النزول أسهل من الصعود؛ ففي عشر دقائق، كان يقف بجوار «مصباح».

فكر لحظة ثم قال: فلنجرب سيارتهم.

قفز «مصباح» إلى داخل السيارة، لكنه لم يجد مفاتيحها. أخرج من جيبه آلة خاصة، ثم ضغط عليها، فدخلت في ثقب مفتاح السيارة، أدارها فارتفع صوت الموتور. نظر في عداد البنزين، فعرف أن بها كمية كبيرة … نظر إلى «أحمد» وقال: لا شيء يعوق الاستعانة بها!

فكر «أحمد» لحظة، ثم رد: لا بأس. دعها، وهيا بنا.

نزل «مصباح»، وفي نفس اللحظة التي كان «أحمد» يستعيد الفراشة الإلكترونية من مؤخرة السيارة أسرعا معًا بعيدًا عنها، فقال «أحمد»: إنهم لا يتركون السيارة هكذا إلا خدعة!

وعندما وصلا إلى سيارة الشياطين، قفزوا داخلها، فقال «أحمد»: اتجه بزاوية ١٨ درجة يمينًا، وارفع السرعة إلى درجتها القصوى.

وعندما انطلق «رشيد» بالسيارة، نقل لهم «أحمد» ما حدث، وقال في النهاية وهو ينظر إلى «مصباح»: كان يمكن أن نفقد «مصباح» اليوم.

نظر له «مصباح» في دهشة، وتساءل: لماذا؟!

أجاب «أحمد»: إنني أظن أن سيارة العصابة كان يمكن أن تنفجر، إذا تحركت بها …

اتسعت عينا «مصباح» دهشة … فقال «أحمد»: لقد استخدمت جهاز التوقيف الذي أحمله، حتى لا تتحرك بها … سكت لحظة، ثم أضاف: ولهذا تركوا السيارة مفتوحة!

كانت سيارة الشياطين منطلقة بأقصى سرعتها. نظر «أحمد» في جهاز الرادار الصغير الموجود في تابلوه السيارة، ثم ضغط زرًّا فيه؛ فارتفع إيريال طويل من سقف السيارة إلى ارتفاع عالٍ. فجأة، ظهرت إشارة على شاشة الرادار.

قال «أحمد» بعد أن قرأ الأرقام التي سُجلت على الشاشة: إننا نقترب منهم. ينبغي أن نسبقهم ... ثم نقطع عليهم الطريق.

قال «بو عمير»: لكنهم ليسوا في طريقنا، فهم يتقدمون في طريق موازٍ لنا.

قال «أحمد»: ولهذا يجب أن نسبقهم، ثم نقطع الطريق عليهم بأنفسنا وليس بالسيارة ...

ابتسم الجميع، كانت أعينهم معلقة بشاشة الرادار ...

فجأة قال «أحمد»: هدئ السرعة، لقد تجاوزناهم!

أبطأ «رشيد» سرعة السيارة قليلًا قليلًا، حتى توقف تمامًا. وفي لحظة، كان الجميع قد قفزوا منها، غير أن «مصباح» صرخ: انبطحوا أرضًا!

في ثوانٍ، كان الجميع قد انبطحوا تحت السيارة، في نفس اللحظة، التي كانت طلقات الرصاص تنهمر عليهم كالمطر. كانت الطلقات تصطدم بجسم السيارة، ثم ترتد، وهي تصدر صوتًا كالصفير؛ فقد كانت من معدن ضد الرصاص.

همس «أحمد»: يجب أن نشتبك معهم، في الوقت الذي ينسحب جزء منا ليدور حولهم، سوف أنسحب أنا و«رشيد». وعلى «مصباح» و«بو عمير» أن يشتبكا، ويجب استخدام جهاز تعدد الدفعات، حتى يظنوا أننا مجموعة كبيرة، وحتى يظنوا أيضًا أننا جميعًا مشتبكون معهم.

سكت لحظة ثم أضاف: بعد قليل يجب استخدام المسدسات العادية، بعد نزع جهاز الدفعات، فإن ذلك سوف يعطيهم إيحاءً بأن بعضنا قد أُصيب ... هيا، ابدءوا الاشتباك.

أخرج «مصباح» و«بو عمير» جهاز تعدد الطلقات، ثم بدءوا يشتبكون معهم. كانت مجموعات الرصاص، التي تصدر من أسفل السيارة، كبيرة، حتى إنه يمكن أن تعطي إيحاءً بكثرة العدد. في نفس الوقت، كان «أحمد» و«رشيد» قد انسحبا من الطرف الآخر للسيارة، متجهين في نصف دائرة، بعيدًا عن المكان، وفي نفس الوقت لتحقيق حركة تطويق للعصابة.

كانا يزحفان حتى لا تراهما العصابة، وكان ذلك يجعل حركتهما أبطأ، في نفس الوقت كان «أحمد» يستمع لصوت الطلقات من الجانبين حتى يعرف سير الاشتباك. فجأة، بدأ صوت طلقات الشياطين يقل، فقال «أحمد» في نفسه: إنهما ينفذان الخطة جيدًا.

استمرَّا في زحفهما حتى ابتعدا تمامًا، وأصبح من الممكن أن يبدأ الصعود. وقفا بسرعة، ثم أخذا يتسلَّقان الجبل. كان الجبل الرملي ينحدر عند قاعدة بطريقة تسهل لهما حركة الصعود. لكنه فجأة تحوَّل إلى انحدار يكاد يكون رأسيًّا، مما يجعل حركة الصعود صعبة تمامًا.

أخرج «أحمد» خنجرًا، ونظر إلى «رشيد» ثم ابتسم، لقد كان «رشيد» ينفذ نفس العملية. غرز الخنجر في الرمال، ثم جذب نفسه في قوة فارتفع. إلا أن ذلك احتاج إلى جهد كبير. أخرج خنجرًا آخر وبدأ يتسلق بالخنجرين بالتبادل، فسهل ذلك عملية الصعود. كانت قمة الجبل ما تزال بعيدة بعض الشيء، لكن ذلك لم يكن شيئًا مفزعًا لهما، فقد كانا يتقدمان بسرعة جيدة، بينما كانت أصوات طلقات الرصاص، ما تزال تدوِّي في فضاء الصحراء.

اقتربت القمة أكثر، حتى لم تعد تبعد سوى عدة أمتار. خطوة أخرى، وثانية، وثالثة، وأصبحت القمة على امتداد يد «أحمد» بينما كان «رشيد» خلفه مباشرة. وضع «أحمد» يده على الحافة، ثم جذب نفسه إليها، لكن فجأة، حدث ما لم يكن يتوقعه.

«أحمد» يلتقط رسالة غامضة!

لقد كانت هناك قدم تدوس على أصابعه، رفع وجهه بسرعة إلى أعلى؛ فرأى وجهًا يبتسم في سخرية، وقد امتدت يده ... وصوَّب مسدسه إلى وجه «أحمد».

ثم قال في قسوة: إلى أين أيها الصديق؟

ثم ضغط بقوة على يد «أحمد» التي آلمته تمامًا، إلا أن المفاجأة أنست «أحمد» ألم يده ...

لقد انطلقت طلقة محكمة، فأصابت المسدس في يد الرجل، وفي لمح البصر، كان «أحمد» قد قفز إلى قمة الجبل، لقد كانت الطلقة صادرة من مسدس «رشيد» الذي اعتمد على يد واحدة، وباليد الأخرى استطاع أن يجذب مسدسه في سرعة البرق، ليطلق طلقته المحكمة.

عندما استقر «أحمد» على قمة الجبل، كان يقف أمام الرجل الذي كان يتلوى من الألم، إلا أن طلقة رنت رنة مكتومة بجوار قدمه، وأثارت بعض الرمال ... أسرع يمسك بالرجل، ويختفي خلفه، فتوقفت الطلقات. ألقى نظرة سريعة، فرأى مرتفعًا من الرمال، ولم يرَ أحدًا، فعرف أن الطلقة صادرة من خلف المرتفع. عندئذٍ تحدث إلى «رشيد» الذي كان لا يزال في مكانه: اصعد في هدوء، حتى لا تظهر لأحد، وقِفْ خلف ظهري تمامًا، حتى نرى معًا كل الاتجاهات.

في هدوء كان «رشيد» يقترب من الحافة، حتى نام فوقها، ثم زحف بسرعة، حتى أصبح خلف «أحمد» مباشرة، ثم وقف. كان الاثنان مستعدين الآن.

فجأة دوت طلقة أصابت الرجل في بطنه فصرخ، ثم سقط على الأرض. فهم «أحمد» الخطة، إنهم يضحون بزميلهم من أجل أن يكشفوا «أحمد». نظر بسرعة حوله، كان هناك مرتفع صغير من الرمال قريب منه، فهمس لـ «رشيد»: سوف نقفز قفزة واحدة، خلف هذا المرتفع، إنه أملنا الوحيد الآن!

وفي لحظة كان الاثنان يقفزان معًا، في نفس الوقت الذي رنت الطلقات حولهما، فلم تصب سوى رجل العصابة المكوَّم على الأرض ... فكر «أحمد» لحظة، ثم همس: ينبغي أن يتحرك «مصباح» و«بو عمير» الآن ... وبسرعة أخرج جهاز الإرسال، ثم أرسل رسالة شفرية ...

كانت الرسالة: «٢٩ – ٣ – ٥ – ٢٧» وقفة «٢٤ – ١٤ – ٢ – ١ – ٦» وقفة «١ – ٢٣ – ٢٩» وقفة «٢ – ١١ – ١ – ٢٦ – ٢٩ – ٢٧» وقفة «٢٠» وقفة «٢ – ٢٦ – ١٨ – ٢٤ – ٢٩ – ١٠» وقفة «١ – ٢٣ – ٢٩» وقفة «١٣» وقفة «٢ – ١١ – ١ – ٢٦ – ٢٩ – ٢٧» وقفة «٢٥» وقفة «٦ – ٣ – ٢٩» وقفة «١٠ – ١٢ – ١ – ٢٣ – ٢٧» وقفة «١ – ٧ – ١٠ – ٢٩» انتهى. وكانت ترجمة الرسالة: يتجه «مصباح» إلى النقطة «م» بزاوية «٢٠»، و«بو عمير» إلى «ش» بزاوية «٢٥». حتى رسالة أخرى.

كانت الطلقات ما تزال تدوِّي حولهما، وكان مصدرها معروفًا. فكر «أحمد» قليلًا: إن وصول «مصباح» و«بو عمير» إلى النقطتين المحددتين يحتاج إلى ربع ساعة؛ لهذا ينبغي أن يشغل هؤلاء المختفين خلف التل حتى يعطي فرصة للصديقين للوصول، وحتى يمكن أن تتم المعركة.

همس لـ «رشيد»: ينبغي أن نشغلهم بعض الوقت!

قال «رشيد»: أفكر في استخدام قنابل الدخان. فالمعركة يجب أن تنتهي هذا النهار، فمن يدري ماذا يحدث لو جاء الليل، بجوار أنهم يمكن أن يستنجدوا بآخرين، ما دامت العصابة قد غيرت السيارة في الطريق.

قال «أحمد» بعد لحظة: إن قنابل الدخان، سوف تُخفيهم عنا، ولهذا لا داعي لها.

سكت قليلًا ثم أضاف: ينبغي فعلًا أن نعرف قبل أن يستنجدوا بأحد!

أخرج جهاز الاستقبال ثم قال: اشتبك أنت معهم، وسوف أحاول عن طريق الجهاز أن ألتقط أي رسائل يمكن أن تخرج من المنطقة!

بدأ «رشيد» في استخدام جهاز دفعات الطلقات، وعندما أطلق أول دفعة، كان ذلك يوحي بأن مجموعة من الرماة هي التي أطلقت هذه الدفعة. في نفس الوقت كان «أحمد» قد وضع سماعتين دقيقتين في أذنيه، وبدأ يدير مؤشر الموجات. فجأة توقفت الطلقات في الجانب الآخر، إلا أن «رشيد» قال: هناك رسالة من الشياطين!

أخرج جهازه، واستقبل الرسالة. كانت بطريقة الشفرة، وكانت تقول: «١ – ٢٣ – ٢٥ – ٢١ – ١٦ – ٢١» وقفة «٢٤» وقفة «٣ – ٣ – ٧ – ٨ – ٣» وقفة «٢٧ – ٢٣» وقفة

«٢٧ – ٢٥ – ١ – ٢٢» وقفة «٣ – ١٨ – ٢٣ – ٢٩ – ٢٤ – ١ – ٣» وقفة «١ – ٧ – ١٠ – ٢٩» انتهى. وكانت ترجمة الرسالة: النقطة «م» تتحدث. هل هناك تعليمات أخرى؟!

نقل «رشيد» الرسالة إلى «أحمد» الذي قال: انتظر قليلًا، هناك رسالة إلى جهة غير معلومة ...

بعد لحظة، وصلت رسالة أخرى، فعرف «رشيد» أنها من «بو عمير». كانت رسالة شفرية أيضًا، وكانت تقول: «١ – ٢٣ – ٢٥ – ٢١ – ١٦ – ٢٧» وقفة «١٣» وقفة «٣ – ٣ – ٧ – ٨ – ٣» وقفة «١ – ٢٣ – ١٨ – ٨ – ٢٦» وقفة «١ – ٢٤ – ١ – ٢٤ – ٢٩» وقفة «٢٤ – ١ – ١٣ – ١٠ – ٢٧» وقفة «٢٧ – ٢٣» وقفة «١ – ١٣ – ٣ – ٢ – ٢٢» انتهى. وكانت ترجمة الرسالة: النقطة «ش» تتحدث. العدو أمامي مباشرة، هل أشتبك ...

مرة أخرى نقل «رشيد» رسالة «بو عمير» إلى «أحمد» الذي كان مشغولًا بتسجيل الرسالة الشفرية الغامضة، وعندما انتهى من تسجيلها أرسل رسالة إلى المقر السري. كانت الرسالة: «٣ – ١٨ – ٢٣ – ٢٩ – ٢٤ – ١ – ٣» وقفة «١٩ – ١ – ٢٤ – ١٥ – ٢٧» وقفة «١٢ – ٢٥ – ٢٣ – ٢٥ – ١ – ٢٧ – ١» وقفة «٢٤ – ١ – ٢٧ – ٢٩» وقفة «١ – ٢٣ – ١٠ – ٢٤ – ٢٦ – ١١» «انتهى».

وكانت ترجمة الرسالة: تعليمات غامضة سجلناها. ما هي الرموز؟

بعد أن انتهى من إرسال الرسالة إلى المقر السري، نظر إلى «رشيد»، ثم سأل: هل وصل الشياطين إلى النقطتين المحددتين؟

قال «رشيد»: إنهما في انتظار تعليمات!

ثم أخبره بمعنى الرسالتين. بسرعة، أرسل لهما رسالة واحدة على الموجة الخاصة التي يستخدمها الشياطين، وكانت الرسالة: بعد ثلاث نقط تبدأ إصابة الهدف.

كان رجال العصابة قد صمتوا. انتظر الشياطين حتى التوقيت الذي حدده «أحمد»، ثم في لحظة واحدة، توالت الطلقات.

كان الإطلاق يأتي من ثلاث جهات، من النقطة «م» حيث يوجد «مصباح». ومن النقطة «ش» حيث يوجد «بو عمير». ومن النقطة الموجود فيها «أحمد» و«رشيد». غير أن الجهة الأخرى، لم تصدر منها طلقة واحدة.

فكر «أحمد» قليلًا: هل نقوم بحركة التفاف حولهم، ونشتبك معهم في معركة بالأيدي؟

نظر إلى «رشيد» لحظة ثم قال: ينبغي أن نشتبك معهم في معركة مواجهة، سوف تستمر أنت و«بو عمير» في إطلاق الرصاص، حتى أعطيكما إشارة. في نفس الوقت أتقدم أنا و«مصباح» إليهم.

وبسرعة أرسل التعليمات لـ «بو عمير» و«مصباح». بعد لحظة، توقف الضرب من ناحية «مصباح» فعرف «أحمد» أنه تحرك فعلًا. أرسل رسالة أخرى، يحدد له النقطة التي سيلتقيان فيها. زحف في هدوء، مبتعدًا عن مكان «رشيد»، وفي خط دائري كانت الشمس قد أصبحت شديدة الحرارة. لكن الشياطين، كانوا يعرفون كيف يتغلبون على حرارة الجو؛ ولذلك فقد تقدَّم «أحمد» في نشاط.

مرت نصف ساعة، بينما كانت الطلقات تصدر متقطعة حينًا، ومستمرة حينًا آخر. فجأة شعر بدفء جهاز الاستقبال، فعرف أن هناك رسالة. توقف بسرعة، ثم بدأ يتلقى الرسالة التي عرف أنها من المقر السري.

لقد كانت حلًّا للرسالة الغامضة التي استطاع أن يلتقطها. وكان حلها الذي قام به فريق حل الشفرة في المقر السري: هناك محاولات غير مفهومة لاعتراض طريقنا، يبدو أن هناك من يريد الوصول إلى نفس الهدف، نحتاج لقوات مضاعفة.

قال «أحمد» في نفسه: إن المسألة يجب أن تنتهي الآن!

تقدم بسرعة إلى النقطة المحددة، حيث التقى بـ «مصباح».

شرح له ما حدث، فقال «مصباح» على الفور: يجب أن نعطيهم فرصة الوصول إلى الخزانة الهامة. فنحن حتى الآن لا نعرف مكانها!

فكر «أحمد» لحظة، ثم قال: هذا صحيح ... سكت قليلًا، ثم أضاف: لهذا يجب أن نختفي تمامًا، أو ننسحب من المكان، مع مراقبتهم. بسرعة أرسل رسالة إلى «رشيد» و«بو عمير» أن ينضما إليهما، ليلتقي الجميع عند النقطة «ع». في نفس الوقت انسحبا معًا إلى مكان آخر. مرت لحظة ثم توقفت الطلقات تمامًا، فعرفا أن «رشيد» و«بو عمير» قد توقَّفا، وأنهما يتجهان إلى النقطة «ع». أسرعا في زحفهما، وفي خلال نصف ساعة كان الشياطين قد اجتمعوا في النقطة المحددة.

قال «أحمد» بعد لحظة: إنني أفكر في إطلاق فراشة إلكترونية إليهم، إنها يمكن أن تعطينا إشارات عنهم وتنقل لنا ما يدور هناك!

وافق الشياطين على الفكرة، إلا «رشيد» أضاف: يجب أن نبحث لنا عن كهف من الكهوف المنتشرة هنا لنختبئ فيه، فإننا هكذا عرضة للرؤية.

أخرج «أحمد» فراشة دقيقة، ثم ضغط فيها زرًّا، وأطلقها في اتجاه رجال العصابة. في نفس الوقت كان «مصباح» يتابعها بنظارته المكبرة. ظل يتابعها حتى اختفت، وما إن مرت عدة دقائق حتى بدأت الفراشة ترسل لهم ما يدور هناك.

سمعوا صوتًا يقول: إن توقفهم عن إطلاق الرصاص يعني شيئًا!

رد آخر: ربما لا تكون الوثائق هدفهم، فقد اشتبكنا معهم دون معرفة وجهتهم!

مر بعض الوقت، ثم قال صوت عرفه «أحمد»، فقد كان «ديجال» هو المتحدث: أعتقد أن هذا صحيح، فلا يوجد أحد يعرف وجهتنا، ولا أظن أن الآخر لا يزال يتبعني.

كان يقصد بالآخر «أحمد». قال بعد قليل: لقد اختفى في مطار بيروت.

رد صوت ثالث: لا أظن أنه اختفى، فما دامت تعليمات الزعيم تقول إن هناك من يتبعك، فهذا يعني أنه يعرف السر!

مضى بعض الوقت دون كلام ثم عاد «ديجال» يقول: لا ينبغي أن يوقفنا شيء. يجب أن ننزل الآن، وسوف نرى ... صمت لحظة ثم أضاف: «ديدي» يقود مجموعة استطلاع أمامنا، على أن يعطينا إشارات باستمرار، حتى نعرف خط سيرنا، فالمسافة لم تعد بعيدة، وسوف يكون تقدمنا هكذا. صمت لحظة، ثم بدأ يقول: هنا. نعم. في هذا الخط. هذا يعني أننا سوف ننزل من فوق الجبل، إلى الطريق السابق وعند النقطة «ز» سوف نلتقي جميعًا!

كان الشياطين يسمعون ما يدور، وعند هذه الكلمات همس «أحمد»: إنه يشرح لهم مستعينًا بخريطة ... جاء صوت «ديجال»: هيا ليبدأ «ديدي»!

قال «أحمد» بسرعة: إن خطتنا أن نبقى في مكاننا بعض الوقت، حتى يتقدموا. ثم نظل فوق الجبل، مع مراقبتهم.

رفع «أحمد» رأسه قليلًا، ثم نظر ناحية التل الرملي. رأى مجموعة من الرجال، تتحرك في اتجاههم، قال بسرعة: يجب أن نغادر المكان، مع محو أي آثار لنا هنا!

في لمح البصر كان الشياطين قد أعادوا الرمال إلى ما كانت عليه، ثم تحركوا بسرعة مبتعدين عن الطريق. ظلوا في ابتعادهم. فقد كانوا يأخذون جانب الطريق، حتى يعطوا فرصة لـ «ديدي» ومجموعته كي تسبقهم. وعندما ابتعدوا تمامًا توقفوا. في نفس الوقت الذي استمرت فيه مراقبة المجموعة مضى بعض الوقت، ثم بدأت المجموعة تظهر.

همس «أحمد»: إننا الآن، نسير في الطريق الصحيح فلو استمرت الأمور كما هي ... فإننا سوف نصل إلى ما نريد وتنتهي المغامرة بنجاح.

تقدمت مجموعة «ديدي» أكثر، ثم بدأت مجموعة «ديجال» تظهر هي الأخرى. كانت مجموعة «ديدي» تضم ثلاثة، في الوقت الذي ضمت فيه مجموعة «ديجال» خمسة أفراد، وعندما تجاوزتهم مجموعة «ديجال» بدأ الشياطين يتحركون. لكن فجأة تردد في الفضاء

صوت طائرة. توقف الشياطين ورفعوا رءوسهم يبحثون عن مصدر الصوت. مرت دقائق ثم ظهرت طائرة صغيرة، وكانت تطير على ارتفاع منخفض.

قال «أحمد»: يبدو أن مجموعة أخرى، سوف تنضم إليهم. إن المعركة سوف تكون أكبر معاركنا.

كارثة وسط المعركة!

التصق الشياطين بالرمال، فقد كانت الطائرة منخفضة إلى حد يمكن أن تكشف وجودهم، وعندما تجاوزتهم دارت دورة كاملة ثم عادت من جديد.

همس «مصباح»: هذه الطائرة تبحث عنا!

قال «بو عمير»: ربما تكون في حالة بحث عن مكان تهبط فيه ...

وكما توقع «بو عمير» دارت الطائرة دورة، ثم نزلت، حتى استقرت على الأرض. في نفس الوقت، كان الشياطين يرصدون تحرك المجموعتين، مجموعة «ديدي» ومجموعة «ديجال». كانت الطائرة تقف في مكان متقدم، حتى إن تفاصيلها كانت تبدو غير واضحة تمامًا، خصوصًا مع عكسها لضوء النهار الشديد في الصحراء. أخرج «أحمد» منظاره المكبر، ورفعه إلى عينيه ثم أخذ ينقل ما أمامه لبقية الشياطين.

قال «أحمد»: لقد نزل الاثنان. صمت قليلًا ثم قال: ها هو واحد آخر، ويبدو أنه قائد العملية. صمت مرة أخرى، ثم قال: لقد بدأ بقية الرجال في النزول. مرت لحظات، وهو يراقب، ثم قال: إنهم الآن، تسع رجال.

أخرج قائدهم منديلًا، ثم أخذ يلوح به. لحظة، ثم ارتفعت يد «ديجال» تلوح بمنديل، وكأنه يرد على القائد.

قال «أحمد»: ينبغي أن نتقدم الآن. وأظن أنهم سوف يبدءون عملًا ما ...

أنزل منظاره، ثم بدءوا يزحفون. مرت نصف ساعة، كانت المجموعتان لـ «ديدي» و«ديجال» تتقدمان بسرعة أكثر.

قال «رشيد»: إننا سوف نتأخر عن عمل أي شيء، يجب أن نسرع ...

أضاف «بو عمير»: من الممكن أن ننحرف للداخل، حتى لا نكون في منطقة الرؤية بالنسبة لهم.

كانت الفكرة جيدة، فنفذوها فورًا. اتجهوا إلى الداخل بمسافة تسمح لهم بالمعركة دون أن يظهروا، وعندما أصبحت المسافة كافية، وقفوا، ثم بدءوا الجري.

قال «أحمد»: لا ينبغي أن نثير أي رمال حتى لا ننكشف ...

أسرعوا أكثر. في نفس الوقت، مال «أحمد» إلى حافة الجبل، ثم ألقى نظرة سريعة وقال: لقد انضمت المجموعتان إلى المجموعة الثالثة ...

استمروا في تقدمهم. فجأة، كانت نهاية الجبل، فتوقف الشياطين.

فهمس «أحمد»: يجب أن ننبطح، حتى لا نظهر فنحن في قمة الجبل. وهذا يجعلنا نظهر أكثر.

انبطح الشياطين، وكان رجال العصابة أمامهم تمامًا الآن.

كانوا يقفون في شبه دائرة، بينما كان «ديجال» يشرح لقائد العملية، إلا أن الصوت لم يكن يصل إلى الشياطين. أسرع «أحمد» بإخراج الفراشة الإلكترونية، ثم وجهها إليهم، وأطلقها. في نفس الوقت، كان «رشيد» يتابع الفراشة الدقيقة بالمنظار المكبر، وعندما استقرت بجوارهم ضغط «أحمد» زرًّا في جهاز الاستقبال، فبدأ يسمع ما يقال.

كان «ديجال» يقول: إن الخزانة تقع على عمق مترين من سطح الأرض، وهذا يحتاج إلى عمل طويل، قد يستغرق عدة ساعات ... فالرمال هنا تنهار بسرعة، بجوار أن المنطقة هنا غير مأمونة. فقد سقطت هنا قنابل، ربما لم تنفجر.

أجاب صوت: إننا نستطيع استخدام الديناميت.

رد «ديجال»: هذه فكرة، ويمكن أن نستخدمها. فقط يجب أن نحذر أن يكون الديناميت على بعد متر ونصف مثلًا، حتى لا يصيب الخزانة، ونفقد كل شيء.

همس «مصباح» وهو يبتسم: لقد قاموا بالعمل. يجب أن نشكرهم.

ابتسم «بو عمير» وهو يقول: إذن عليك أن تكون مندوبًا عنا، لتقدم لهم شكرنا ...

كان رجال العصابة قد بدءوا في دق الديناميت. فهم يقومون بدق ماسورة إلى متر ونصف، ثم يضعون الديناميت مكان الماسورة. بعد أن انتهى دق الماسورة، ابتعد الرجال عن المكان، وظهر سلك التفجير وهم يمدونه ... وعندما أصبحوا على مسافة كافية وقف أحدهم وبيده جهاز التفجير.

أدرك «أحمد» أنه نسي الفراشة هناك ... فأسرع باستدعائها. وبعد قليل اهتزت الأرض وثارت الرمال في عمود طويل، فقد ضغط الرجل جهاز التفجير، وعندما هدأت الرمال تمامًا، تحرك الرجال بسرعة إلى مكان التفجير. كانت دائرة واسعة، قد أحدثها الديناميت في الرمال. لكن الرمال كانت تنهار لتسد الدائرة مرة أخرى غير أن الرجال

أسرعوا يحاولون وقف الانهيار. كانوا يعملون بسرعة فقال «أحمد» مبتسمًا: إنهم سوف ينهارون هم الآخرون في اللحظة المناسبة.

ابتسم الشياطين، فقد فهموا ماذا يقصد «أحمد». إن ما يقصده أنهم سوف يفقدون جهدهم في العمل، وعندما تحين لحظة الصدام معهم لن تكون لديهم القوة، وهذا يعطي الشياطين فرصة إنهاء المعركة بسرعة.

ظلوا يراقبون العمل، الذي اشترك فيه الجميع، حتى «ديجال» نفسه وقائد العملية هو الآخر. لقد كان عملًا شاقًّا بالفعل، وسط حرارة مرتفعة. مضت ساعتان، وبدأت قوى الرجال تنفد حتى إنهم أخذوا يجلسون الواحد بعد الآخر لينالوا قسطًا من الراحة.

نظر «أحمد» في ساعة يده، ثم همس: إنهم يمكن أن يعملوا حتى الليل، سكت لحظة ثم أضاف: إن الطائرة تبعد عنهم بمسافة كافية لأن تفعل شيئًا، فهي وسيلتهم الوحيدة الآن في نقل الخزانة، وهذا إذا وصلوا إليها.

لم يرد أحد مباشرة ... لكن بعد قليل، قال «مصباح»: أقترح أن يقوم أحدنا بعملية انتحارية، من أجل تعطيل الطائرة.

قال «أحمد» على الفور: إننا يجب أن ننزل فورًا ... ينبغي أن ندور في مسافة كبيرة، حتى نصبح أقرب للطائرة فهم لن يصلوا إلى الخزانة الآن.

وبسرعة، كان الشياطين يغادرون الجبل من جانب آخر بعيدًا عن رجال العصابة. داروا دورة واسعة بعيدًا عنهم، حتى أصبحوا خلف الطائرة مباشرة.

قال «أحمد»: الآن ينبغي أن نتقدم زحفًا، حتى لا تقع أعينهم علينا.

بدءوا زحفهم في حذر، حتى لا يثيروا الرمال. في نفس الوقت، كانت أعينهم على العصابة التي أصبحت تعمل في بطء. فجأة رأوا «ديجال» ينظر في اتجاههم، ثم يشير بيده. توقف الشياطين، والتصقوا بالأرض.

لم يكن أحد ينظر في اتجاه العصابة، سوى «أحمد» الذي قال: إن مجموعة منهم تتجه إلينا، يجب أن تكونوا مستعدين للمعركة، التي أظن أنها سوف تبدأ الآن!

بدأ كل منهم يجمع كومة رمال في هدوء أمامه، حتى تكون ساترًا له، إذا أطلق أحد من رجال العصابة الرصاص، ظل «أحمد» يرقبهم، حتى تجاوزوا الطائرة.

فهمس «أحمد»: إنهم يقتربون أكثر.

أسرع كل من الشياطين بإخراج مسدسه في انتظار اللحظة المناسبة. اقترب رجال العصابة أكثر حتى أصبح اقترابهم يهدد ويكشف وجود الشياطين.

في لمح البصر أخرج «أحمد» قنبلة دخان، واستعد. توقف رجال العصابة، ثم أخرجوا مسدساتهم، وأصبح واضحًا أمام «أحمد» أنهم سوف يطلقون رصاصهم؛ ولذلك أسرع ينزع فتيل قنبلة الدخان، ثم قذفها بقوة في اتجاههم.

لحظة ثم انتشر الدخان بسرعة، وكان هذا بداية المعركة فقد انطلقت الطلقات في اتجاه الشياطين كالمطر، إلا أنهم تحت ستار الدخان كانوا قد غيروا مكانهم، مع التقدم مسافة في اتجاه الطائرة … بدأ الدخان يخف، فأسرع «أحمد» بإلقاء قنبلة أخرى، فازدادت كثافة الدخان. كان الرجال جميعًا يغلفهم الدخان، وكان هذا يعطي فرصة للشياطين ليحددوا أماكنهم.

فجأة، ارتفع صوت محرك الطائرة فهمس «رشيد»: إن الطائرة، سوف تهرب!

إلا أن «أحمد» كان مستعدًّا، فقد أطلق طلقة في اتجاه محرك الطائرة، وعندما رنت الطلقة باصطدامها بمعدن المحرك تباطأ الصوت حتى توقف. في نفس اللحظة قال: يجب أن نشتبك الآن …

وفي لمح البصر كان الشياطين يأخذون طريقهم قفزا، قبل أن يستطيع رجال العصابة الخروج من منطقة الدخان، وعندما أصبحوا هم الآخرين داخلها كان الرجال يتخبطون وهم لا يعرفون ماذا يفعلون، إلا أن الشياطين استغلوا الفرصة. جذب «أحمد» أول من قابله ثم سدد له لكمة قوية جعلته يتراجع، غير أنه لم يتركه، فقد تابعه وجذبه بقوة جعلته يسقط على الأرض. إن الشياطين يعرفون كيف يتصرَّفون داخل منطقة الدخان.

إلا أن الموقف تغير … ففي هذه المنطقة الصحراوية، يتغير المناخ بين لحظة وأخرى. ففجأة، نزلت السيول تجرف أمامها كل شيء … وفي دقائق كان الدخان قد هدأ تمامًا، وانكشف كل شيء … أصبحت المواجهة الآن مباشرة، إلا أن الشياطين كانوا يعرفون أنهم أمام عدو فقد مقدرته؛ ولذلك كانت المعركة تستحق التسجيل.

لقد طار «مصباح» في الهواء، وضرب رجلين معًا فاصطدما برجلين آخرين، وسقط الأربعة بلا حركة. في نفس الوقت كان «رشيد» قد أمسك أحدهما ثم دار به دورة كاملة، وتركه فجأة فاندفع الرجل يصطدم بكل من يقابله، ليقع بأربعة منهم على الأرض … بينما كان «أحمد» قد رفع أحدهم ثم قذفه، فاصطدم باثنين. أما «بو عمير» فقد تلقى ضربة أحدهم، وكانت ضربة خفيفة، ثم عاجله بضربة، فترنح، أسرع إليه، ثم حمله ودار به دورة كاملة، ثم تخلَّى عنه فجأة، فاصطدم بأقرب الرجال إليه.

كان المطر لا يزال ينهمر في قوة، ولم يكن ذلك يثني الشياطين عن الاستمرار في المعركة التي كانت لصالحهم تمامًا. وفي لحظة كانت المجموعة الأخرى من الرجال قد تقدمت في

سرعة، لتنضم إلى المجموعة التي كانت قد استقر معظمها على الأرض بلا حراك، وكانت المجموعة الثانية تضم «ديجال». كان الشياطين حريصين على أن يظلوا مشتبكين، حتى لا يستخدم أحد مسدسه؛ ولذلك ما إن اقترب الآخرون، الذين كان يبدون أنهم أكثر نشاطًا بتأثير المطر الذي أنعشهم حتى كان الشياطين قد أنهوا معركتهم مع المجموعة الأولى.

ومن جديد بدأت معركة أخرى. كان الشياطين لا يزالون يحتفظون بقواهم، فالمعركة الأولى لم تستنفد قواهم بعد؛ ولذلك ما إن تقدم الآخرون حتى كان الشياطين يفاجئونهم بضربة واحدة. لقد طار الأربعة في الهواء، وكان طيرانهم معًا يغطي مساحة واسعة ضمت معظم المجموعة الجديدة، وفي ضربة واحدة كان الرجال يتخبطون الواحد في الآخر، وقبل أن يفيقوا كان «أحمد» قد قفز عدة قفزات متوالية في اتجاه الطائرة، فهو يعرف أن المعركة لن تطول والطائرة يمكن أن تفيدهم كثيرًا، فقد تظهر مفاجآت أخرى. وعندما وصل إليها، قفز إلى داخلها ثم حاول إدارة محركها، إلا أنه لم يستجِبْ له ... حاول مرة أخرى فلم يستطع. فكر قليلًا، ثم ألقى نظرة سريعة في اتجاه المعركة جعلته يغادر الطائرة مباشرة.

لقد كانت المعركة تميل إلى الكفة الأخرى، وقد تنتهي لغير صالح الشياطين. وفي لمح البصر كان قد استقرَّ وسط ميدان المعركة متجهًا إلى «رشيد» الذي كان يشتبك مع واحد يتمتع بقدرات عضلية قوية. كان الرجل قد ضرب «رشيد» ضربة قوية استطاع «رشيد» أن يمتصها، إلا أن الرجل كان قد عاجله بأخرى. في نفس اللحظة التي وصل فيها «أحمد» أمسك ذراع الرجل، الذي كان في طريقه إلى وجه «رشيد». فاهتز «أحمد» لقوة الذراع، لكنه في حركة بارعة دار في الهواء وهو يمسك بذراع الرجل فالتوى معه بقوة في نفس اللحظة التي سدد له لكمة قوية، جعلت الرجل يصرخ من الألم.

فجأة، ظهر ما لم يكن يتوقعه أحد. لقد كان هناك سيل جارف، ينحدر من قمة الجبل، فيدفع كل شيء أمامه.

أبصر «أحمد» سرعة وقوة السيل، فصرخ: «احذروا الكارثة!»

وأخيرًا ... كانت نهاية الصراع!

كان السيل الجارف يأخذ في طريقه كل شيء، حتى الطائرة نفسها ... فقد اندفعت بقوة السيل في الطريق إلى ميدان المعركة. كان رجال العصابة عندما رأوا السيل قد أسرعوا هاربين. لكن الشياطين الذين يعرفون أن مهمتهم لم تنتهِ بعد، فقد ظلوا في أماكنهم، كانوا قد استعدوا بعد أن نظروا إلى بعضهم، وفهموا ما سوف يفعلونه. لقد كانت الطائرة تأتي في مقدمة السيل، وعندما أصبحت قريبة منهم كانوا قد قفزوا جميعًا في اتجاهها، وتعلقوا بجناحيها، وفي رشاقة كانوا يتحركون إلى داخلها.

لقد أنقذتهم الطائرة وتصرفهم الذكي من نهاية مُحققة ... ولقوة السيل فقد استمرت الطائرة في اندفاعها، حتى إنها بدأت تلحق برجال العصابة الذين كانوا يصيحون خوفًا من النهاية، وعندما لحقت بهم الطائرة حاولوا أن يتعلقوا بها، كما فعل الشياطين إلا أنهم لم يستطيعوا تحقيق ذلك ...

في نفس الوقت كانت مياه السيل المندفعة بقوة قد لحقت بهم، وغطتهم تمامًا، حتى إنه لم يظهر أي واحد منهم.

كان الشياطين يرقبون ذلك كله، لكنهم في نفس الوقت كانوا يفكرون في شيء آخر؛ ماذا عن خزانة الرمال؟ هل لحق بها الضرر؟ وهل يمكن أن تتسرب المياه إليها فتفسد ما بداخلها من أوراق هامة تحمل خطة الدفاع عن الشرق الأوسط؟ وهل يمكن أن يعثروا عليها مرة أخرى، خصوصًا وأن اندفاع السيل كان قويًّا، حتى إنهم بدءوا يبتعدون تمامًا عن المكان ...

قال «أحمد»: لا بد من عمل شيء. إننا نبتعد وسوف نفقد مكان الخزانة. صحيح أن «ديجال» قد اختفى، لكن ذلك أدعى إلى أن المكان سوف يضيع منا؛ إن «ديجال» يحمل خريطة للمكان وهو الذي يعرفه.

استمرت الطائرة في اندفاعها، لكن فجأة، لمح الشياطين كارثة أخرى؛ إذ كان أمامهم جبل ضخم حتى إن «مصباح» قال: سوف نصطدم بالجبل، وقد تكون هذه نهايتنا، تمامًا كرجال العصابة.

كان الجبل يقترب بسرعة، قال «أحمد»: لا بد أن نغادر الطائرة.

رد «رشيد»: كيف مع هذا الاندفاع الهائل؟

أجاب «أحمد»: إن هذه فرصتنا، فإذا لم نستطع أن نخرج من الطائرة فإننا لا نعرف ماذا يمكن أن يحدث؟

قال «بو عمير»: إنني أعتقد أننا نستطيع تحقيق فكرة «أحمد»، لو انتظرنا الجبل حتى يقترب، ثم نقفز عليه ... إنه من الواضح أن السيل لن يرتفع إليه.

كانت فكرة لامعة. وقف الشياطين متحفزين، وقد قدروا المسافة التي يتحركون فيها. اندفعت الطائرة بسرعة، وقبل أن تصطدم بالجبل بدقيقتين، كان الشياطين يطيرون في الهواء، إلى قمة الجبل ... وعندما اصطدمت أرجلهم به، كانت الطائرة قد تناثرت شظايا.

همس «مصباح»: لقد نجونا بمعجزة!

إلا أن كلماته لم تنتهِ. فقد كان الجبل يكاد يذوب لقوة المياه. فقد أخذت الرمال تنهار ...

لم يكن أمام الشياطين إلا العوم. أسرع كل منهم وأخرج أنبوبة من المطاط، نفخها بسرعة، ثم تعلق بها. في نفس الوقت كانوا يستخدمون خناجرهم في تثبيت أماكنهم حتى لا تجرفهم المياه بعيدًا ... ظلوا في صراعهم مع الماء وشيئًا فشيئًا، بدأ السيل يهدأ، وتقل المياه، ثم أخذت تنحسر. في نفس الوقت الذي كانت الرمال تتشرب جزءًا كبيرًا منها، وفجأة، وجدوا أنفسهم واقفين فوق الرمال المبتلة.

قال «أحمد»: إنها فرصتنا لنعود بسرعة وهذه الرمال المبتلة لن تعوقنا عن السير ...

وفي لحظات كانوا يعودون أدراجهم في اتجاه مكان الخزانة، لكن المسافة كانت طويلة في الوقت الذي كانوا قد فقدوا قواهم في صراعهم مع المياه. ولم يكن أمامهم إلا أن يجلسوا فوق الرمال المبتلة، حتى يستعيدوا نشاطهم. كانت الشمس قد بدأت تميل ناحية الغرب، وكان هذا يعني بالنسبة لهم مشكلة أخرى ... ففي الليل لن يستطيعوا عمل أي شيء ... خصوصًا وأن الظلام سوف يكون كثيفا.

إلا أن «أحمد» قال: إن الحظ يلعب معنا لعبة طيبة، فبعد ساعة سوف يظهر القمر. إن حساباتنا تأتي على حساب مكان المقر السري، ونحن في مكان مختلف.

استلقى الشياطين تمامًا على الأرض التي كانت قد بدأت تجف نوعًا بطبيعة الرمال التي تشرب الماء، وكانت الساعة التي حددها «أحمد» كافية تمامًا لأن يستعيدوا نشاطهم، ليبدءوا جولتهم الجديدة. مر الوقت ثم بدأ الليل يغطي المكان، فلا يكاد يظهر شيء، إلا أنهم فجأة هبوا واقفين. لقد كان هناك ضوء يلمع عند الأفق.

قال «أحمد» بسرعة: يبدو أن هذه نجدة جديدة!

سأل «مصباح»: هل تظن أنها نجدة من «سادة العالم»؟

رد «أحمد»: ربما، فمن يعرف بوجود الخزانة غيرهم!

قال «رشيد»: لعلها جهة أخرى، إن عصابة «سادة العالم» ليست وحدها المهتمة بالوثائق الهامة ...

في لحظات كان الشياطين يقطعون المسافة جريًا، وكانت الرمال الملساء والقوية بفعل الماء تساعدهم على التقدم بسرعة، كان الضوء يقترب أكثر فأكثر ...

ووسط تقدمهم السريع قال «بو عمير»: إن هذه فرصة طيبة لنا. إن الليل سوف يساعدنا على تحقيق نتيجة أفضل، نتمنى أن يتأخر ظهور القمر حتى لا يكشف وجودنا.

بعد قليل بدأ القمر في الظهور، لكنه لم يكن قوي الضوء ... فقد كان في ربعه تقريبًا، ولم يكن ضوءُه كافيًّا ليكشفهم. اقترب الشياطين، وكانوا الآن يعرفون طبيعة المنطقة؛ ولذلك فلم يتجهوا إلى مصدر الضوء مباشرة. لقد أخذوا جانب الرمال المرتفعة حتى تخفيهم عن أعين من هناك ... اقتربوا حتى ظهرت ملامح الرجال. كان بعضهم يغوص في بركة من الماء التي أحدثها السيل، بينما كان الآخرون يقفون عند الحافة في انتظار ظهور الخزانة.

ابتسم «رشيد» وهو يقول: إنهم يقومون بعمل جليل من أجلنا، فقد كنا سنقوم بنفس العمل!

ابتسم الشياطين لكلمات «رشيد»، في الوقت الذي أخرج فيه «أحمد» فراشته الإلكترونية، ثم وجهها إلى المكان حتى يلم بما يحدث هناك. وعندما استقرت الفراشة بجانب الرجال ضغط زر جهاز الاستقبال ثم بدأ يسمع ما يدور هناك.

جاء صوت يقول: هذه بقاياهم. وهذه الحفرة دليل وجودهم هنا ...

لكن يبدو أن السيل قد عاكسهم كثيرًا ... ولعلهم الآن في مكان ما ... للراحة ...

رد آخر: إن السيد «ديجال» كان يحمل خريطة للمكان!

ضحك صوت، وقال: إنها لم تكن سوى صورة من الخريطة الأصلية؟

تساءل صوت: هل توصلتم لشيء؟

أجاب صوت آخر بعد قليل: نعم. إن الخزانة موجودة لكن الرمال تجعلها أكثر ثقلًا من وزنها الأصلي ... فالماء والرمال يحوطانها بشكل غريب وكأن أحدًا قد أخفاها بالاثنين معًا ...

رد الصوت الأول: اعملوا جهدكم. إن الزعيم في انتظار إشارة منا ...

صمتت الأصوات قليلًا، فقال «بو عمير»: إنها أيضًا عصابة «سادة العالم» مرة أخرى.

قال «رشيد»: متى سوف نضرب ضربتنا؟

رد «أحمد»: عندما تظهر الخزانة!

فجأة جاء صوت: إن الخزانة لا تتحرك من مكانها. فهي كبيرة الحجم فعلًا ...

قال واحد: لا أدري لماذا كل هذا الحجم؟

رد آخر: هذه الأحجام كانت أيامهم. فلم يكونوا قد توصلوا لما نحن فيه الآن!

مر بعض الوقت ثم قال واحد: لا بد من حبل، حتى تساعدونا. سوف نربطها وتجذبون أنتم ونحن نحاول أن نزحزحها من مكانها ...

صمتت الأصوات مرة أخرى، فقال «بو عمير»: إننا نقترب من اللحظة الهامة ...

زحف الشياطين أكثر مقتربين من رجال العصابة الذين كانوا يعملون تحت ضوء يكفي لكشفهم تمامًا ... فجأة، وصلهم صوت: ها هي قد تزحزحت من مكانها!

قال آخر: اجذبوا بقوة ...

رفع «أحمد» رأسه فرأى كل شيء. كان بعض الرجال يجذبون حبلًا في قوة بينما آخرون حتى رقبتهم في بركة الماء. ظل الجذب مستمرًّا.

همس «مصباح»: أليست هذه فرصة، حتى ننقض عليهم!

رد «أحمد»: الانتظار أكثر فائدة، فلو انقضضنا عليهم الآن. فسوف يتركون الخزانة لتختفي في الماء من جديد لكن عندما تخرج فسوف تكون قواهم قد انتهت.

ظل «أحمد» يرقب.

بدأت الخزانة في الظهور. لحظات ثم أصبحت فوق الرمال خارج بركة الماء. وقف الرجال حولها، كانت تبدو عليهم فرحة الانتصار. غير أن الشياطين كانوا أكثر فرحًا فها هي الخزانة بين أيديهم.

قال واحد: ينبغي أن نأتي بالسيارة إلى هنا، حتى تحمل الخزانة!

قال آخر: لا داعي، يمكن أن نعالجها ثم نحصل على الوثائق ونتركها!

رد الأول: إن الزعيم قد أمر بأن نحضر الخزانة أيضًا.

مرت لحظة صمت ثم أضاف نفس الرجل: هيا، فليذهب «كروجر» لإحضار السيارة ...

بدأ «كروجر» يتحرك. كان شابًّا مفتول العضلات.

فجأة همس «أحمد»: إنها فرصتنا! «مصباح» و«رشيد» يتبعان «كروجر»، وعندما يقترب من السيارة ينقضان عليه، ويتخلصان منه، ثم يعودان بالسيارة.

بسرعة كان «مصباح» و«رشيد» يزحفان مبتعدين عن المكان، وهما يتبعان «كروجر». أما «أحمد» و«بو عمير» فقد ظلا في مكانهما، يرقبان الرجال.

جلس أحدهم على الخزانة، وقال مبتسمًا: إن هذه ثروة تساوي ملايين!

رد آخر: إن أي حاكم عربي يتمنى لو يدفع فيها ما نطلبه في سبيل الحصول على وثائق الدفاع عن بلادهم!

ابتسم «أحمد» لهذا القول، وقال في نفسه: إنكم لا تعلمون أنكم سوف تفقدون كل شيء بعد قليلٍ. فجأة ارتفع صوت موتور السيارة فعرف «أحمد» و«بو عمير» أن «مصباح» و«رشيد» قد قاما بالمهمة تمامًا. أخذ صوت السيارة يقترب ثم بدأت الأضواء تلمع، حتى ظهرت تمامًا، فكشفت المجموعة كلها وكأنهم يقفون في وضح النهار.

قال واحد: هيا نحملها معًا.

فجأة اندفعت السيارة في قوة في اتجاه رجال العصابة، حتى إن أحدهم صاح: انتظر يا «كروجر» إنك تكاد تقضي علينا.

لكن السيارة ظلت مندفعة ثم فجأة انحرفت في براعة حتى إن الرجال تركوا الخزانة وقفز كل منهم إلى مكان خوفًا من أن تدهمه السيارة. في نفس الوقت صاح أحدهم: إن «كروجر» يريد أن يحصل على الخزانة ...

غير أن الشياطين كانوا قد أصبحوا داخل المكان في لمح البصر. كان «أحمد» و«بو عمير» قد قفزا في رشاقة في وسط الرجال، فأطاح «أحمد» بثلاثة معًا، وأطاح «بو عمير» بثلاثة آخرين. أما الباقون فكانت المفاجأة قد أذهلتهم، فلم يتحركوا. كان «مصباح» و«رشيد» قد انضما إلى «أحمد» و«بو عمير».

قفز «مصباح» إلى اثنين في حالة ذهول، وضرب الاثنين معًا ضربة واحدة فانطرحا أرضًا.

في نفس الوقت كان «رشيد» قد سدد لكمة قوية إلى أقرب الرجال إليه فتهاوى، إلا أن رجال العصابة قد استطاعوا أن يستعيدوا رشدهم بسرعة ويتخلصوا من لحظة المفاجأة، ودارت معركة عنيفة إلا أن الشياطين الذين كانوا أكثر نشاطًا، استطاعوا أن ينهوا المعركة بسرعة.

وعندما وقفوا ينظرون إلى الرجال الذين كانوا مبعثرين على الأرض، كان «أحمد» قد أسرع بإرسال رسالة إلى رقم «صفر» في المقر السري، وعندما انتهى منها جاءه الرد سريعًا: تقدموا واتركوهم، إن هناك من سوف يقوم بالمهمة …

تكاتف الشياطين، وفي قوة استطاعوا أن ينقلوا الخزانة إلى مؤخرة السيارة، وفي ثوانٍ كانوا قد استقروا داخلها، حيث كان «بو عمير» يجلس إلى عجلة القيادة، وأدار محرك السيارة، ثم انطلق متهاديًا، وهو يتنسم هواء الصحراء الذي بلله المطر.

ولم تمضِ نصف ساعة حتى اصطدمت بهم أضواء قادمة من بعيد، فقال «أحمد»: لعل هؤلاء هم الذين سوف يقومون بالمهمة.

وبعد قليل كانت سيارة ضخمة تتقدم وقد رفعت العلم الهندي. وعندما توقفت أمام السيارة التي يركبها الشياطين رفع القائد يده بالتحية ثم استمرت السيارة في طريقها، بينما كان الشياطين يغوصون في الليل الفضي، فقد انتهت المغامرة بنجاح بعد عناء طويل.

هنـــداوي